تربية النفوس
في رمضان

إمساكية رمضان ١٤٢٤هـ

جمال ماضي

الهدائن

رقم الإيداع : ١٦٨٧٣ / ٢٠٠٣
الترقيم الدولى : 6-76-5339-977

دار المدائن
العجمى : البيطاش - مدينة الأندلس والحجاز - عمارة ١٤
سموحة :٢٧ ش محمود داود - عمارة الجمارك - الدور الثانى
الاسكندرية - تليفاكس : ٤٢٤٠٢٠٣

لماذا تربية النفوس ؟

* آه ... من النفوس كم أودت بالكثيرين فحرمتهم من أحلى حياة للإنسان على الأرض، حياة الطاعة والنقاء والطهارة !

* آه ... من النفوس كم ردت الكثيرين عن إيمانهم فحرمتهم من أجمل علاقة فى الوجود، علاقتهم بالله رب العالمين !

* وهنيئاً لأصحاب النفوس الكبار الذين ضمنوا جنات عدن وقرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون.

* وفى شهر رمضان شهر الطاعة والعبادة والإتصال بالله تكون النفوس مهيأة لأن تسلك الطريق وتتعلم المجاهدة وتخرج منتصرة، لتبدأ الخطوات الجادة فى صلاحها وإصلاحها وتهذيبها، وهذا ما أردنا من هذه الرسالة «تربية النفوس».

والله من وراء القصد،

١ـ تربية النفوس

يقول تعالى: ﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواه ﴾ ، ويقول تعالى: ﴿ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ وكان من دعائه ﷺ : « اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها » . وفى نهاية ما كتبه عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص وجنده : (اسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم ، أسأل الله ذلك لنا ولكم)

* ولذلك كانت تربية النفوس هى سلوى المؤمنين ونجواهم فحافظوا على اللجوء إلى ربهم والذكر والعمل الصالح والاستئناس بالقرآن الكريم ، يقول تعالى: ﴿ ولقد نعلم أنه يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ ، وليس الأمر فيما يعانيه الإنسان بل فى كل أموره ، حتى دعاة الخير وهم يعملون ، فقد جاء فى الأثر الإلهى (أوحى الله إلى عيسى بن مريم : يا عيسى عظ نفسك بحكمتى فإن انتفعت فعظ الناس وإلا فاستح منى) ، وعن على بن أبى طالب رضي الله عنه لما كان يوم بدر قاتلت شيئاً من قتال ثم جئت إلى رسول الله ﷺ أنظر ما صنع ، فجئت وإذا هو ساجد يقول : يا حى يا قيوم ، ثم رجعت إلى القتال ثم جئت ، فإذا هو ساجد يقول ذلك ، ففتح الله ، وصار لنا فيه أسوة حسنة ﷺ من أراد الفتح فعليه بنفسه ولا ينسى تربيتها حتى ولو كان فى مواطن الجهاد .

[illegible]	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
[illegible]	٤ ٤٢	٦ ١٠	١١ ٤٤	٢ ٥٣	٥ ١٧	٦ ٣٦
[illegible]	٤ ٣٧	٦ ٠٤	١١ ٣٩	٢ ٤٩	٥ ١٤	٦ ٣٢

* وقد تجنح النفس ببعض الناس إلى الأسى والهم والحزن لزوال تيسير أو فراق حبيب، وحتى لا تغوص فى بحور الوهم، فتربيتها هنا هو الإرتفاع بها إلى خالقها تستمد منه العون والقوة، فى حياة الصحابة ٣ / ٦٦٨ قصة عوف بن مالك الأشجعى حيث جاء إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إن ابنى أسره العدو وحزنت أمه فماذا تأمرنى؟ قال: آمرك وإياها أن تستكثرا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقالت المرأة: نعم ما أمرك... فجعلا يكثران منها فتغفل عنه العدو فاستاق غَنمهم فجاء بها إلى أبيه فنزلت: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾ .

* فتربية النفوس هى صلاحها وإصلاحها، وهى طهارتها وتقويتها، وهى تزكيتها وجهادها، وهى تهذيبها وتقويتها، وهى ترقيتها ومجاهدتها، وجماع ذلك كله فى قولهم: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا) مصداقاً لقوله تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾ الحشر / ١٨، وثمار تربية النفوس تراها فى الانتصار على الكربات والمكائد، تراها فى الثبات عند المحن والابتلاءات، تراها فى تحصيل الرزق والعلم، تراها فى فتح أبواب الإيمان والتقوى والمعرفة بالله تعالى، فإن من انتصر على نفسه كان على غيرها أقدر، ومن انتصر على نفسه أسس بنيانه على أصل ركين لا يأبه بعواصف ولا يتأثر بأعاصير . فالفلاح كل الفلاح فى تربية النفوس، يقول تعالى: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾. التغابن / ١٦ .

المواقيت	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
الإسكندرية	٤ ٤٣	٦ ١١	١١ ٤٤	٢ ٥٢	٥ ١٦	٦ ٣٦
القاهرة	٤ ٣٧	٦ ٠٥	١١ ٣٩	٢ ٤٨	٥ ١٣	٦ ٣١

٢ـ تصفية النفوس

قديماً قالوا : التخلية قبل التحلية ، وصارت قاعدة في التعامل مع النفوس ، فلمَ لا تكون البداية بتصفية النفس من العيوب ؟ سواء كانت فيَ مأكل أو مشرب أو ملبس أو مركب أو مسكن أو كانت في زيجات أو زينات أو متعات أو شهوات .

* وتبدأ تصفية النفوس بمعرفة العيوب ، واكتشافها وإظهار عيوب الآخرين ، فما أعظمها من مهمة أن يبحث كل منا عن عيوبه ليصفيها ويسعى في التخلص منها ، وهو أعلم الناس بها ، لأنها واقع في كيانه يراها في حركته وسكنته ، ويسمعها في خفقته وجلوته ، فلماذا نبحث عن عيوب غيرنا ونترك عيوبنا ؟ ! وهذا أول الطريق في التعامل مع النفوس . يقول تعالى : ﴿ بل الإنسان على نفسه بصيرة ﴾ القيامة/ ١٤ يقول قتادة في تفسيرها : إن الإنسان شاهد على نفسه بصيراً بعيوب الناس وذنوبهم غافلاً عن ذنبه .

* قالوا : (إن الله يطالبك بالاستقامة ونفسك تطالبك بحظها ، ولأن تكون بحق ربك أولى من أن تكون بحظ نفسك) ما أجمله من قول وما أعظمه من حل لهؤلاء الذين يتساءلون ويبثون شكواهم : مالنا نحاول المرات والمرات ويجرفنا حظ نفوسنا ؟ إننا محجوبون عن الله ، بعيدون عن ربنا ! ! هؤلاء واهمون ، فلماذا هم واهمون ؟

* والإجابة تقول : إنهم لم يستشعروا الحق سبحانه لأنه محال

[illegible]	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
[illegible]	٤ ٤٣	٦ ١٢	١١ ٤٤	٢ ٥٢	٥ ١٦	٦ ٣٥
[illegible]	٤ ٣٨	٦ ٠٥	١١ ٣٩	٢ ٤٨	٥ ١٢	٦ ٣٠

فى حق الله الحجاب فلا يحجبه شئ لأنه ظهر بكل شئ، وقبل كل شئ، وبعد كل شئ فلا ظاهر معه ولا موجود سواه، فهو ليس بمحجوب وليس ببعيد، وإنما المحجوب هو أنت بعيوبك، إن مجرد بث هذه الشكوى علامة على أن فى نفسك شيئا فعليك إزالته وتصفيته. يقول تعالى: ﴿لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ القيامة/ ٢ يقول الحسن البصرى: المؤمن ما تراه إلا ويلوم نفسه، يقول: ما أردت بكلمتى، ما أردت بأكلتى، ما أردت بحديث نفسى، حتى أن ابن عباس رضي الله عنه أطلق عليها "النفس المذمومة".

* وتصفية النفوس من العيوب مستمرة حتى تحصل على الفلاح ويتحقق فينا قوله تعالى فى سورة الأعلى: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ تفتح أبواب الإتصال بالله، باستشعارك لصفات الله عز وجل والطريق إلى ذلك كما قال ابن عطاء فى (لطائف المنن): «لا تكن ممن يطالب الله لنفسه ولكن ممن يطالب نفسه لربه» بمعنى المجاهدة الدائمة للنفس وحسابها، واليقظة لعيوبها وعلاجها حتى يؤيدك الله بتصفية عيوبك، ويوفقك إلى صلاحها، فعليك الإجتهاد وبالله التوفيق ما دام ذلك لربك، وعليك الإستمرار على ذلك والثبات على فعله فإن توقف تحقق لآمال طلبتها أو صلاح تنشده من الله، فليس ذلك استبطاء لمطلبك من ربك، وإنما استبطاء لأدبك مع ربك، واجتهادك لنفسك، وعيب فى نفسك... ألا تتفق معى أن نقطة البداية هى تصفية النفوس من العيوب !.

[illegible]	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
[illegible]	٤ ٤٤	٦ ١٣	١١ ٤٤	٢ ٥١	٥ ١٥	٦ ٣٤
[illegible]	٤ ٣٨	٦ ٠٦	١١ ٣٩	٢ ٤٧	٥ ١١	٦ ٢٩

٣ ـ دواء النفوس

* دواء النفوس فى الشعور بالله، ولن يتحقق هذا الشعور إلا بالعبودية الكاملة لله والتى تبدأ من إعلانك الافتقار الدائم إلى الله، وهو الشعور المستمر بالله وليس عند العجز أو المرض أو الكوارث أو الأزمات أو غير ذلك، هو شعورك بحاجتك الدائمة إلى مولاك، وكلما ازداد الشعور بالفقر والعوز والحاجة زاد الشعور بالله، وهذا هو معنى تحققك بـ (لا حول ولا قوة إلا بالله) بمعنى: لا حول عن معصية الله إلا بالله

ولا قوة على طاعة الله إلا بالله

فلا حركة ولا سكون إلا بالله يقول تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى﴾ النازعات/ ٤١.

* وباستشعارك هذا المعنى العميق تكون أقرب إلى مولاك، وبذلك تتعرف على عيوبك وتتخلص منها، فبشرية الإنسان هو استشعاره بذاته وينسى افتقاره إلى ربه، فيظهر ذلك فى أخلاق تناقض خلوص العبودية من شهوة المأكل أو المشرب أو المنكح أو حب الدنيا أو المنصب أو غير ذلك من الشهوات، وكلها وهو لا يدرى تنقص من قدره وفق هذه القاعدة: (للنفس من النقائص ما لله من الكمالات) ولك أن تتأمل فيها وتتصور نقائص النفس.

* فإن تحرر من هذه الأخلاق كان عبداً خالصاً لمولاه، ومن الأمور التى تفسد هذا الشعور بالله غلبة الهوى عليك، الذى يعمى ويصم، وقد قالوا:

[illegible]	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
[illegible]	٤ ٤٥	٦ ١٤	١١ ٤٤	٢ ٥٠	٥ ١٤	٦ ٣٣
[illegible]	٤ ٣٩	٦ ٠٧	١١ ٣٩	٢ ٤٦	٥ ١٠	٦ ٢٨

■ لا يخاف عليك التباس الهدى إنما يخاف عليك اتباع الهوى .

■ لا يخاف عليك التباس الحق وإنما يخاف عليك جهالة الخلق : ﴿ وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلونك عن سبيل الله ﴾ الأنعام / ١٠٦ .

■ لا يخاف عليك من خفاء أهل الحق إنما يخاف عليك من قلة الصدق : ﴿ فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم ﴾ محمد / ٢١ . مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ النجم / ٢٣ .

فلم يمنعهم من الهدى إلا حسن الظن بمسلك سابقيهم على الباطل ثم ما تهواه أنفسهم من ملذات وشهوات وحظوظ .

* يقول أحدهم :

لا تتبع النفس فى هواها   إن إتباع الهوى هوان

فإذا أراد الله إذلال عبده ردّه إلى نفسه وهواه فأحيل عليها ووكل إليها ، فالهوى كما رأيت مختصر من الهوان ، ومن دعائه : «إن تكلنى إلى نفسى تكلنى إلى ضعف وعوزة وذنبٍ وخطيئة وإنى لا أثق إلا برحمتك» . فبرحمته تعالى عزه عبده وعنايته به ، فإذا تولاك أعطاك ، ولم يتركك مع نفسك وهواك ، هنالك تستشعر قربه وتتعرف على عيبك ، بعنايته ورعايته وحفظه تعالى .

٤ ــ عيوب النفس

مع هذه العيوب التى لا تتناهى فى الإنسان ، دلّنا خبراء التربية

المواقيت	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
الاسكندرية	٤ ٤٥	٦ ١٤	١١ ٤٤	٢ ٤٩	٥ ١٣	٦ ٣٢
القاهرة	٤ ٤٠	٦ ٠٨	١١ ٣٩	٢ ٤٦	٥ ٠٩	٦ ٢٨

بأصل هذه العيوب التى لا تتناهى فى الإنسان . فإذا استطاع الإنسان علاج الأصل فلا وجود للروافد، ولذلك كانت القاعدة: (أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها) وقد سمى القرآن ذلك (فتنة النفوس) وذلك فى قوله تعالى: ﴿ ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم ﴾ وكانت هذه الفتنة كما فى التفسير: بالانصياع لحظها والسير وراء ما تهوى والوقوع فيما حسنته من شهوات وملذات والرضا عن النفس هو استحسانك لأحوالها، وتغطيتك لمساويها، وكل من اتهم نفسه وأساء الظن بها، ونظر إليها بعين السخط، هو الذى بحث عن عيوبها واستخرج مساويها، يقول أبو حفص الحداد: (من لم يتهم نفسه على دوام الوقت ولم يخالفها فى جميع الأحوال، ولم يجرها إلى مكروهها فى سائر أيامه فهو مغرور، ومن نظر إليها بإستحسان شئ منها فقد أهلكها)، وكيف يصح لعاقل الرضا عن نفسه والله تعالى يقول: ﴿ وما أبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى ﴾..

*وصورة من يرضى عن نفسه فى الحياة صورة مرفوضة فانقلاب الحقائق عنده تجعله يظن أنه وصل إلى الكمال فماذا يريد بعد ذلك؟ ومن نظرته إلى نفسه بأنه كامل تنقلب علاقته بالناس إلى علاقة كبر وعجب وغرور، وعلى الناس ألا يخالفوا له رأياً، بل عليهم الإقتداء به بالإجبار والأخذ عنه بالإكراه، ومن ثم تراه مستهيناً بالمعصية، مستهترا بالذنب يتابع الشهوات من

الوقت	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
الإسكندرية	٤ ٤٦	٦ ١٥	١١ ٤٤	٢ ٤٩	٥ ١٢	٦ ٣٢
القاهرة	٤ ٤٠	٦ ٠٨	١١ ٣٨	٢ ٤٥	٥ ٠٨	٦ ٢٧

حب للمدح والتصدر والتعالى على الآخرين.

أما إذا أراد التخلص من شهواته فلابد أن يمتلك الشعور بالله ويستمر فى سلوك درب الطاعات وأول ذلك عدم الرضا عن نفسه.

* وعلى الإنسان حتى لا تتراكم عليه عيوبه أن يحذر من مصاحبة الذين يرضون عن أنفسهم، سواء كانوا أساتذة له أو أقراناً أو أتباعاًأو تلامذة فالمرء على دين خليله، وبهذا الميزان الدقيق ينظر المرء من يصاحب حتى ولو كان صاحب علم أو مكانة، يقول سفيان بن عيينة: «إذا كان ليلى ليل سفيه ونهارى نهار جاهل فماذا أصنع بالعلم الذى أكتسب، وقد استعاذ النبى ﷺ من علم لا ينفع»

ولذلك فمن أقوالهم المحفوظة فى ذلك: (من أراد أن يتخلص فليصحب من تخلص) وصحبة من يرضى عن نفسه شر محض ولو كان أعلم أهل الأرض، لأن الطباع تسرق الطباع، والجهل الذى يقربك إلى الله أحسن من العلم الذى يبعدك عن الله، ومن عرف (أصل العيوب) تطلب ذلك منه سعياً وتشميراً ليسلك طريق اليقظة والطاعة، وكان من وصية أستاذ لتلميذه وهو يعلمه هذه الحقيقة: (يا بنى كن عين المعنى وإلا فاتك المعنى) .

٥ ـ مجاهدة النفوس

* من أجل صحة الأعمال ليتقبلها الله تعالى، ثم يجعل الجزاء العميم عليها فى الآخرة، تدوم مجاهدة النفوس فلا يصنع

المواقيت	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
الإسكندرية	٤٧ ٤	١٦ ٦	٤٤ ١١	٤٨ ٢	١١ ٥	٣١ ٦
القاهرة	٤١ ٤	٠٩ ٦	٣٨ ١١	٤٥ ٢	٠٧ ٥	٢٦ ٦

الصالحون في أذهانهم وهو يعملون إلا أمر الآخرة. يقول تعالى: ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ السجدة/ ١٧ ، ومجاهدة النفوس تعني تحقيق شروط صحة الأعمال وهي:

أولاً: أن يكون العمل صادقاً:

وذلك بتخطي العقبة الكئود، فما بعدها أيسر، ألا وهي النفس، يقول تعالى: ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ وبالانتصار على النفس تبدأ المجاهدة.

ثانياً: الجزاء الحقيقي قبول العمل:

ثم يعمل الإنسان لمحض العبودية، فأعظم الجزاء على الأعمال أن يتقبلها الله، فإلى جانب عيوب النفس التي لا تتناهى فإن الله تعالى يقبل منا العمل يقول تعالى: ﴿ أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ﴾ ولم يقل الله (نتقبل منهم) لأن (منهم) تعني أن أعمالهم كاملة لا عيب فيها ولكن لأنها ناقصة قال تعالى: ﴿ نتقبل عنهم ﴾ بمعنى نتجاوز عنهم فنتقبل أحسن ما عملوا على عيبها وآفاتها وعللها.

ثالثاً: الإيمان بأن الفضل من الله

فالكل فعله وعطاؤه يقول تعالى: ﴿ كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وماكان عطاء ربك محظوراً ﴾ ، ﴿ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً ﴾ فكل الأمور تسير بفضله وجوده وكرمه ولو عاملنا الله بعيوبنا لكانت كارثة، فمن رحمته بنا مع علمه بما هو أخفى من عيبنا، فإنه

الوقت	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
الإسكندرية	٤ ٤٨	٦ ١٧	١١ ٤٤	٢ ٤٨	٥ ١٠	٦ ٣٠
القاهرة	٤ ٤٢	٦ ١٠	١١ ٣٨	٢ ٤٤	٥ ٠٧	٦ ٢٦

يصاحبنا ، يقول سهل بن عبد الله رضي الله عنه:

(إذا عمل العبد حسنة وقال : يارب بفضلك عملت وأنت أعنت وأنت سهلت ، شكر الله ذلك له ، وقال : يا عبدى بل أنت أطعت وأنت تقربت وإذا نظر إلى نفسه وقال : أنا عملت وأنا أطعت وأنا تقربت أعرض الله عنه وقال له :ياعبدى أنا وفقت وأنا أعنت وأنا سهلت . وإذا عمل سيئة : وقال يارب أنت قدرت وأنت قضيت وأنت حكمت ، غضب المولى جلت قدرته عليه وقال : يا عبدى بل أنت أسأت وأنت جهلت وأنت عصيت ، وإذا قال : يا رب أنا ظلمت وأنا أسأت وأنا جهلت أقبل المولى جلت قدرته عليه وقال : يا عبدى أنا قضيت وأنا قدرت وقد غفرت وقد حلمت وقد سترت) .

* ولذلك إذا تولانا الله أعطانا ورحمنا وأكرمنا بفضله وفيضه ، ونظر إلينا وذكرنا وفى هذا رفع لعملنا وتمجيد له ، ومن أهمله الله وتركه مع نفسه لا نهاية لقبائحه ونقائصه ، وكما قيل : (إن كنت بربك تَكَمّل عِزك وإنْ كنت بنفسك تكامل ذُلك) ، حتى أنه يصبح مشلولاً منعزلاً صامتاً لا يستطيع أن يواجه الناس ويدعوهم إلى الله ، والسبب فى ذلك إعتمادهم على أنفسهم ، كما قيل : (لما اعتمدوا على أنفسهم أصمتتهم هفواتهم وإساءاتهم) .

٦ ـ عادات النفوس

* بعض الناس يقولون لى عادات قد تعودت عليها نفوسنا ولا نستطيع الفكاك منها ، وقد ألفناها ومن الصعوبة أن نتحول

التوقيت	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
الاسكندرية	٤ ٤٨	٦ ١٨	١١ ٤٤	٢ ٤٧	٥ ٠٩	٦ ٢٩
القاهرة	٤ ٤٢	٦ ١١	١١ ٣٨	٢ ٤٣	٥ ٠٦	٦ ٢٥

عنها ، والعادات قد تكون ظاهرية كالأكل والشرب والنوم واللباس والاختلاط بالناس ، والكلام والمخاصمة والعتاب والغضب والاندفاع ، ومنها المعنوية كحب الرئاسة والجاه وحب الدنيا والمدح والكبر والرياء والطمع فى الناس وخوف الفقر ، وهم الرزق والقسوة والفظاظة .

فهل بالفعل لا يمكن التحرر من قيد هذه العادات وهل تظل النفوس محبوسة بأغلال هذه العادات ؟ أم أن النفوس يمكن أن تخرق هذه العادات رغم ألفتها وتغيرها إلى عادات أفضل وألوفات أحسن ؟ !

* قيل : [بالرياضات القهرية تخرق العوائد الحسية] أى بالجوع والسهر أو قل بالصيام وقيام الليل ، وبالخلوة والصمت أو قل بالاعتكاف وبالسنن وبالنوافل . مما كتبه أحد العارفين إلى بعض إخوانه : (أما بعد فإن أردتم أن تكون أعمالكم زكية وأحوالكم مرضية فقللوا من العوائد فإنها تمنع الفوائد) .

* فإذا أردت جنى الفوائد فخالف نفسك بمعنى أن تخرق ما تعودت عليه النفوس من عادات ومألوفات بأن تجعلها كلها طاعات وعبادات وخدمات وقيل لبعضهم بم أدركت ما أدركت ؟ قال : وحدّته بأفضل التوحيد ، وخدمته خدمة العبيد ، وأطعته فيما أمرنى ونهانى فكلما سألته أعطانى) وصدقت حكمة ابن عطاء : (من خرق العوائد ظهرت له الفوائد) .

* ومن عادات النفوس حب الثناء والمدح ، فهل يستكمل النقص فى النفس بمدح المادحين ؟ المتأمل يتأكد له أن المدح لا

المواقيت	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
الإسكندرية	٤ ٤٩	٦ ١٨	١١ ٤٤	٢ ٤٦	٥ ٠٩	٦ ٢٩
القاهرة	٤ ٤٣	٦ ١١	١١ ٣٨	٢ ٤٣	٥ ٠٥	٦ ٢٤

يدفع نقصاً ولا يعالجه ولا يستكمله !ولذلك كانت القاعدة أمام المادحين ألا يلتفت الإنسان إلى أقوال الثناء بل يرجع إلى نفسه بالذم لما يعلمه منها وما يعلمه من أعمال خفية، فلكل إنسان خبيئة من نفسه، يقول تعالى: ﴿ بل الإنسان على نفسه بصيرة ﴾ هذا لو كان ما مدح به موجوداً فيه، وإلا فيذمها بالنقص والتقصير، ولذلك قالوا:

■ إذا مدحك الناس بشئ ليس موجوداً فيك فارجع على نفسك بالذم.

■ لا يغرنك ثناء الناس على ظاهرك فأنت تعلم من نفسك اللب الباطن الذى لا يعلمه الناس.

■ يقال عند المدح: اللهم اجعلنى خيراً مما يظنون ولا تؤاخذنى بما يقولون واغفر لنا ما لا يعلمون. وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ﴾ النجم/ ٣٢، أى تمدحوها وتشكروها وتمنوا بأعمالكم فهو أعلم بمن اتقى كما قال تعالى: ﴿ ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء ولا يظلمون فتيلاً ﴾.

٧ ـ ميزان النفوس

* يقول الله تعالى: ﴿ وجاهدوا فى الله حق جهاده ﴾ الحج / ٧٨، ويقول تعالى: ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ العنكبوت/ ٦٩، فهل يوجد ميزان فى حق المشتغلين بالمجاهدة يعرفون به الحق والباطل مع أنفسهم؟ ومن أبلغ ما قيل فى ذلك

المواقيت	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
الإسكندرية	٤ ٥٠	٦ ١٩	١١ ٤٤	٢ ٤٦	٥ ٠٨	٦ ٢٨
القاهرة	٤ ٤٤	٦ ١٢	١١ ٣٩	٢ ٤٢	٥ ٠٤	٦ ٢٤

من قواعد هذه القاعدة الميزانية : **(إذا التبس عليك أمران ، فانظر أثقلهما على النفس فأتبعه ، فإنه لا يثقل عليها إلا ما كان حقاً)** .

فكل ما يثقل على النفس فالواجب اتباعه فهو حق ، وكل ما يخف عليها فهو باطل وفيه حظها فالواجب اجتنابه ، ومثال ذلك قد يثقل عليها الصوم أوقيام الليل أو الصدقة أو حفظ القرآن أو الصمت أو الإعتكاف أو خدمة الآخرين وقد يخف عليها غير ذلك ، فليكن العبد على نفسه بصيرة ، ومن البصيرة أن يسير معها على عكس مرادها ، ويخالفها ويتهمها فيما تأمره أو فيما تستحسنه .

* وهذه سنة الله في عباده ، فإن النفس لا تريد أن تخرج عن رأيها ومرادها أبداً ، فإذا قال قائل : أنا أعمل العمل ، كيف أكتشف أن لنفسى حظاً فى هذا العمل ؟ تقول له : إن كان العمل ثقيل عليها فهو حق وصحيح فامضه ، متوكلاً على الله تعالى ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه .

وأمثلة ذلك فى حياة المسلم اليومية وخاصة الذين يشتغلون بالعمل الإسلامى ، بهذا الميزان الذى هو المخرج حينما تختلط الأمور ، ألا وهو (مخالفة النفس) فالبعض يضيع وقته فى القيل والقال يظن الإصلاح وهو لغو ، أو فى النوافل ويترك فروض العين والكفاية ، يظن التعبد الزائد وهو من علامات هوى النفس ، ويبقى هذا الميزان للنفس حينما يسأل الإنسان نفسه :أين عمله من حظ وهوى النفس ؟ !

* والمقصود بأثقلهما على النفس أى من جهة الطبع ،

الوقت	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
الإسكندرية	٤ ٥٠	٦ ٢٠	١١ ٤٤	٢ ٤٥	٥ ٠٧	٦ ٢٧
القاهرة	٤ ٤٤	٦ ١٣	١١ ٣٩	٢ ٤٢	٥ ٠٤	٦ ٢٣

وعلامات الثقل ثلاث (العجلة والأمن وعمى العاقبة) بمعنى : من توجه لشئ لا يعرف له مادة فى الأحكام ترجح فيه الترك من الفعل ، فإن كان فعله مع أمن لا مع خوف ، ومع عجلة لا مع تأن ، ومع عمى العاقبة لا مع بصيرة بها ، فاعلم أن خفته على النفس من هواها وحظها ، وذلك لأنها مجبولة على ضد الخير ، فإذا أدبرت بلا علة أو أقبلت بلا دليل يذكر ، فهو دليل هواها ، وهذا حال النفس اللوامة التى تخطئ وتصيب ، أما من رزقها الله نوراً وهدى تهتدى به ، فهى تتبع الشرع وتحسن الظن بالمسلمين ، فإن وجدت شبهة توقفت ، والأصل فى ذلك قوله ﷺ :

« استفت قلبك وإن أفتوك وإن أفتوك »

٨ — حركات النفوس

يقول تعالى : ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولاً ، وكفى بالله شهيداً ﴾ النساء/ ٧٩ ، يقول ابن كثير : (ان ما جرت عليه سنة كونية خيراً فهو من الله ، أما إن أصابتك سيئة فيما لك منه دخل فهو من نفسك) ، فالمؤمن بين أمرين بين لوم نفسه والثقة بحكمة أقدار الله تعالى .

* تتحرك النفس مع الإنسان حركات عجيبة ، فلماذا حركها الله تعالى ؟ وكيف تتحرك ؟ ... معنى تحريك النفس : أن تطلب ما تهواه وأن تؤثر دنياها ، وأن تلبى كثرة متطلباتها ، وأن لا تفى بعزمها ، وهذا هو الرضا عن النفس ، فما الحكمة الربانية فى

الوقت	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
الاسكندرية	٤ ٥١	٦ ٢١	١١ ٤٤	٢ ٤٥	٥ ٠٦	٦ ٢٧
القاهرة	٤ ٤٥	٦ ١٤	١١ ٣٩	٢ ٤١	٥ ٠٣	٦ ٢٢

ذلك ؟ يقول ابن عطاء :

(حرك عليك النفس ليدوم إقبالك عليه)

وإقبالك على الله فى ثلاث صور :

الأول : الثقة فيما ترتجيه من الله

الثانى : اللجوء إليه فيما تتقيه

الثالث : الإنابة له فيما ترتضيه

وبالتأمل فى هذه الصور ، نرى أن النفس تتحرك على صاحبها وهو تحت المقادير ، إن كان مهموماً أو مبتلى أو مظلوما أو مقهوراً أو مسجوناً ، فنفسه ترجو له الفرج والتفريج والإفراج مماهو واقع فيه ، وتلح عليه بحركاتها ، فمن لم يجد إيمانا فى قلبه فإنه يتقطع حسرة وهماً وحزناً وتضيق عليه الأرض بما رحبت ، أما المؤمن فإنه يزداد ثقة فى وعده وفرجه القريب ، يراه كلما ضاقت به الأمور ، ويستشعر به عند استحكام الحلقات عليه .

*** ومن حركات النفوس أنها تلح على صاحبها بأن يتقى الإبتعاد عن ماله وأولاده وزوجته ووطنه ومسكنه والحبس وكبت حريته وضياع هدفه ، وأمام هذا الإلحاح يلجأ المؤمن إلى الله ، يستمد منه العون ويتزود ، فالله بيده الأمر ويسمع ويرى ، ويكفيه فخراً وتيهاً أن المبلى له هو الله فيزداد قرباً لاختياره إياه وتقديره له .**

ومن حركات النفوس أنها تلح على صاحبها بكثرة متطلباتها وحظوظها وإيثار متع وشهوات دنياها ، فيقع فى أخطاء الرضا بذلك ، التى تبعده عن ربه ، وحال المؤمن أمام ما يرتضيه هو

المواقيت	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
الإسكندرية	٥٢ ٤	٢٢ ٦	٤٤ ١١	٤٤ ٢	٠٦ ٥	٢٦ ٦
القاهرة	٤٦ ٤	١٥ ٦	٣٩ ١١	٤١ ٢	٠٢ ٥	٢٢ ٦

الإنخلاع من منبع العيب بالإنابة والأوبة والعودة والتوبة، لتجديد السير والنهوض من جديد.

* وهكذا حركات النفس تدفعك إلى مداومة الإقبال على الله في كل لحظاتك، فلا تنزعج لحركاتها مادام قلبك عامراً بالإيمان، حيّاً بالرحمن، صادق التوجه إليه تعالى، متسلحاً بالعلم بربه الذى يقربك إلى الله إذا أعرض الناس عنك أو امتدت أيديهم بالإيذاء أو إذا إدلهمت الأمور، ثم بيقظتك الدائمة وملازمتك الإقبال على الله وطاعته عند كل الظروف، وبذلك يمكننا القول: أنك تستطيع أن تتخطى عقبة النفس، يقول أبو الحسن: (أعظم القربات عند الله مقاومة النفس بقطع إرادتها وطلب الخلوص منها بترك ما تهوى لما يرجى من حياتها، وإن من أشقى الناس من أحب أن يعامله الناس بكل ما يريد، وهو لا يجد من نفسه بعض ما يريد).

٩ – ميادين النفوس

ربما يسأل سائل هل كل الشر يأتى من قبل النفوس؟ وهل النفوس هى المسئولة عن كل هذه القبائح والنواقص؟ وللإجابة على هذا التساؤل علينا أن نتعرف على ميادين النفوس الثلاثة ومنها نخلص إلى أن النفوس هى المسئولة أيضاً بوصفها السابق عن كل تقدم ورقي فى معرفة الله والسير فى طريقه فلولاها ما كان سيراً أصلا! وهذا يحتاج إلى تفصيل وهذا ما سنحاول معرفته بعون الله وتوفيقه، فالميادين ثلاثة: ميدان القول وميدان

الوقت	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
الاسكندرية	٤ ٥٢	٦ ٢٣	١١ ٤٤	٢ ٤٤	٥ ٠٥	٦ ٢٦
القاهرة	٤ ٤٦	٦ ١٥	١١ ٣٩	٢ ٤٠	٥ ٠٢	٦ ٢١

العمل وميدان الجهاد، وهى ميادين متداخلة يسلم بعضها بعضاً، وأى إهمال فى واحدة يؤدى إلى خلل فى التى تليها، ولذلك تحتاج إلى حراسة مع يقظة دائمة لأن الغفلة من المدمرات الفاتكة بها.

أولاً: ميدان القول: وصاحبها يسير فى طريق الغفلة، وفيها تطلب النفس حظوظها وشهواتها وهواها، وفى براثن الغفلة تنتفش القبائح ولا تدرى بها النفس، وإن لهجت الألسنة بأقوال التوبة وكلام الإقلاع عن الحظوظ.

وعلاج هذا الميدان:

الإيمان ثم الإستقامة حتى تتحقق النفوس بالعمل، وبذلك تدخل فى ميدانها الثانى، أرأيت كيف أن الإستقامة بدأت من المساوئ والقبائح فلولاها ما كان تقدم أو عمل.

ثانياً: ميدان العمل: وفى ميدان العمل قد تخدع النفس صاحبها، فتراه يعلن إيمانه دون تحقيق، ويرفع إسلاماً دون إستقامة، فلا يتقيد بشرع ولا يحتكم لدين، ولا يتبع سنة ولا تشريعاً، مع أنه مع العاملين، بل نفسه تدفعه إلى غير الإسلام يستمد منه العون والقدوة، فهو كالحائر يبحث عن نجد وهو فيها، وقد أطلقوا على أصحاب هذه النفوس أنهم يسيرون فى طريق الوهم مع زعمهم الإلتزام قد رفعوا العلم شعاراً دون اتباع، ولم يحققوا غاية الالتزام من خشية القلب لربه، وخضوعه لمولاه.

وعلاج هذا الميدان:

بالمزيد من العمل حتى يحقق الغاية من خشية وهيبة رب

الوقت	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
الاسكندرية	٥٣ ٤	٢٣ ٦	٤٤ ١١	٤٣ ٢	٠٤ ٥	٢٥ ٦
القاهرة	٤٧ ٤	١٦ ٦	٣٩ ١١	٤٠ ٢	٠١ ٥	٢١ ٦

العالمين، وحضور القلب، والطمأنينة الدائمة حتى يتحقق بالبصيرة ويحمل (النفس المطمئنة) : ﴿**قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين**﴾ وهكذا تبدد البصيرة الوهم لتتحقق النفس بالعمل المستمر والطمأنينة.

ثالثا : ميدان الجهاد : وفى ميدان الجهاد يكثر الزاعمون للإصلاح والصلاح والعلم والدعوة والتربية، والإدعاء فى هذا الطريق يتعرض لإمتحانات عاصفة، والمرء تفضحه شواهد الإيمان، ومن ارتدى رداء الإدعاء كشفته العواصف الهادرة، والعجب أن مدار هذا الزعم غالباً ما يكون فى الخير إن لم نقل كله فى الخير !! وذلك لأن النفوس ما زالت فى ميادين الإيمان والعلم والعمل فهى خاصة بالمؤمنين أما الكافرون والمنافقون فزعمهم بالصلاح والإصلاح وعمارة الكون باطل محض لأن نفوسهم مغلقة لا بصيص أمل ينتظرها بعد أن أغلقت النوافذ أصلاً من الإيمان والتوحيد !!

وعلاج هذا الميدان : سهل وميسور... إنه الفرار الدائم إلى الله واستمرار اللجوء إلى الله حتى تتحقق المعرفة، فتبدد سراب الزعم وتدمر ليل الدعوى. وهكذا ميدان القول غير ميدان العمل وميدان العمل غير ميدان الجهاد ورضى الله عن عبد الله بن رواحة يوم أن ترددت نفسه يوم مؤتة فخاطبها بقوله :

أقسمت يا نفس لتنزلن لتنزلن أو لتكرهنّه
إن أجلب الناس وشدوا الرنّة مالى أراكِ تكرهين الجنة

المواقيت	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
الاسكندرية	٤ ٥٤	٦ ٢٤	١١ ٤٤	٢ ٤٣	٥ ٠٤	٦ ٢٥
القاهرة	٤ ٤٨	٦ ١٧	١١ ٣٩	٢ ٣٩	٥ ٠١	٦ ٢٠

١٠ ـ تواضع النفوس

حقيقة الإنسان أن نفسه التى بين جنبيه موسومة بالنقص أصلاً وفرعاً ، فكيف يرى لها رفعة ومزية ومرتبة ؟ وهل يصير ذلك عند العقلاء مقبولاً ؟ ... حينما عرف اللغويون معنى التواضع اللفظى قالوا : (ثبوت منزلة ورفعة صدر التنازل عنها) وهذا يتنافى مع حقيقة الإنسان التى تأبى ذلك ... فهل تسمى ذلك تواضعاً ؟ من أقوالهم : (من أثبت لنفسه تواضعاً فهو المتكبر حقاً) ويقول الشبلى : (من رأى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب) ويقول أبو سليمان الدارانى : (لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه) بل إن أبا يزيد يقول : (ما دام العبد ينظر أن فى الخلق من هو شر منه فهو متكبر وقيل : فمتى يكون متواضعاً ؟ فقال : إذا لم ير لنفسه حالاً ولا مقاماً) . وعلى ذلك ليس المتواضع إذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع ولكن المتواضع الذى إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع .

* والتواضع إساساً يقوم على أمرين : إما نظر الإنسان إلى نفسه ووصفها بالنقص فإذا ادعى لها رفعة خالف بذلك أصلها ، وإما نظر الإنسان إلى أوصاف ربه وكماله ، فيرى أن كل شئ دون الله نقص ومحتقر ، يقول ذو النون : (من نظر إلى سلطان الله تعالى ذهب نفسه لأن النفوس كلها حقيرة عند هيبته ، ومن أشرف التواضع أن لا ينظر إلى نفسه دون الله تعالى) . فالتواضع فى معناه مجاهدة النفس لأنها تريد الرفعة والإنسان يريد

المواقيت	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
الإسكندرية	٤ ٥٥	٦ ٢٥	١١ ٤٤	٢ ٤٢	٥ ٠٣	٦ ٢٤
القاهرة	٤ ٤٨	٦ ١٨	١١ ٣٩	٢ ٣٩	٥ ٠٠	٦ ٢٠

السقوط، والذين تكبروا كان السبب في تكبرهم أنهم أثبتوا المزية لأنفسهم ورفعوها ثم أثبتوا لها التواضع فهم المتكبرون على الناس حقاً. يقول الجنيد: (من رأى نفسه قد تواضعت فهو يحتاج إلى تواضع، ولو تبرأ منها ومن تواضعها لكان متواضعا).

* وهذا سر المخالطة الربانية في حياة النبي ﷺ مع أصحابه الكرام: ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾ الفتح/ ٢٩، ويقول تعالى: ﴿ **أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين** ﴾ المائدة/ ٥٤.

ومن صور المتواضعين:

- لا يثبتون لأنفسهم تواضعاً مهما تواضعوا.
- يرون أنهم دون ما صنعوا لا فوق ما صنعوا مهما تواضعوا.
- إذا قدموا غيرهم فإنهم يرون أن ما فعلوه دون المطلوب.
- يشهدون عظمة مولاهم وينسون أنفسهم وحظوظهم،

يقول تعالى ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾ آل عمران/ ١٥٩.

وهذا هو تواضع النفوس الحقيقي، فالكمال لله وحده:

فما التأنيث في اسم الشمس نقص
ولا التذكير فخر للهلالِ

للتوقيت	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
الاسكندرية	٤ ٥٥	٦ ٢٦	١١ ٤٤	٢ ٤٢	٥ ٠٣	٦ ٢٤
القاهرة	٤ ٤٩	٦ ١٩	١١ ٣٩	٢ ٣٩	٤ ٥٩	٦ ٢٠

١١ ـ جزاء النفوس

* يقول تعالى : ﴿هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردّوا إلى الله مولاهم الحق وضل ما كانوا يفترون﴾ يونس/ ٣٠، هذا يوم القيامة حيث تختبر كل نفس وتعلم ما سلف من عملها من خير وشر، يقول تعالى : ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ الإسراء/ ١٤ .

فالأمور كلها ترجع إلى الله الحكم العدل، والإنسان لم يظلم ولم يكتب عليه إلا ما عمل يقول تعالى : ﴿من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ الإسراء/ ١٥ .

والساعة كائنة لابد منها، وقائمة لا محالة، لا يطلع عليها أحد ، ليجزى الله كل عامل بعمله يقول تعالى : ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى﴾ طه/ ١٥ .

فأنت مسئول وحدك، تقدم الحجج بنفسك، حيث لا ينفع أب ولا ابن ولا أخ ولا زوجة، يقول تعالى : ﴿يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون﴾ النحل/ ١١١ .

* وأوضح الله تعالى جزاء من ترك لنفسه العنان واستجاب لما حسنته لصاحبها، من اقتراف الحرام، والوقوع فى المفاسد، يقول تعالى : ﴿لبئس ماقدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون﴾ المائدة/ ٨٠. وكانت النفس من الأسباب التى جعلت بنى اسرائيل تنقض عهدها ولا تستجيب لرسلها

الوقت	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
الاسكندرية	٤ ٥٦	٦ ٢٧	١١ ٤٥	٢ ٤١	٥ ٠٢	٦ ٢٣
القاهرة	٤ ٥٠	٦ ٢٠	١١ ٣٩	٢ ٣٨	٤ ٥٩	٦ ١٩

يقول تعالى: ﴿ كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون ﴾ المائدة/ ٧٠ . والنتائج لمن اتبع هواه كانت الخسران والهلاك وعودة مكرهم عليهم:

■ يقول تعالى: ﴿ الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ﴾ الأنعام/ ٢٠ .

■ ويقول تعالى: ﴿ وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ الأنعام/ ٢٦ .

■ ويقول تعالى: ﴿ وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون ﴾ الأنعام/ ١٢٣ .

وذلك جزاء كذبهم وظلمهم وبغيهم:

■ يقول تعالى: ﴿ انظر كيف كذبوا على أنفسهم ﴾

■ ويقول تعالى: ﴿ وأنفسهم كانوا يظلمون ﴾ الأعراف/ ١٧٧ .

■ ويقول تعالى: ﴿ يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم، متاع لحياة الدنيا، ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون ﴾ التوبة/ ٢٣ .

* أما جنات عدن فهي الجزاء الذى ينتظر من زكى نفسه، وطهرها من الخبث والدنس والعيوب، وحقق عبوديته لله وحده، واتبع النبي ﷺ فيما جاء به، وكان النبي ﷺ أحب إليه من نفسه مصداقا لقوله تعالى: ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾ لأحزاب/ ٦ ، وفى الصحيح « والذى نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين».

هذا الجزاء الجميل خاص بهؤلاء كما فى قوله تعالى: ﴿ جنات يدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ﴾

الوقت	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
الاسكندرية	٤ ٥٧	٦ ٢٨	١١ ٤٥	٢ ٤١	٥ ٠٢	٦ ٢٣
القاهرة	٤ ٥١	٦ ٢٠	١١ ٤٠	٢ ٣٨	٤ ٥٩	٦ ١٩

طـه/ ٧٧ . وجنات عدن هى مدينة الجنة فيها الرسل والأنبياء والشهداء وأئمة الهدى ومن حولها الناس فى الجنات، ويجمع الله أهل جنات عدن وبين أحبابهم فيها من الآباء والأهلين والأبناء ممن هو صالح يقول تعالى: ﴿ **جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذريتهم** ﴾ الرعد/ ٢٣ . حتى أنه ترفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى امتناناً من الله وإحساناً من غير تنقيص للأعلى عن درجته كما قال الله تعالى:

﴿ **والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإحسان ألحقنا بهم ذريتهم** ﴾ .

* والطريق إلى الحصول على هذا الجزاء الجميل، ودخول جنات عدن، والاستقرار فيها، أوضحه الله تعالى بأنه يبدأ من تغيير النفوس، والابتعاد عن الذنوب، يقول تعالى: ﴿ **ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم** ﴾ الأنفال/ ٥٣ ، فأخبر الله تعالى عن تمام عدله وقسطه فى حكمه بأنه تعالى لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنبه الذى ارتكبه، كقوله تعالى: ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ أو قوله تعالى: ﴿ **كداب آل فرعون** ﴾ أى كصنعة آل فرعون حين أهلكهم الله بسبب ذنوبهم وسلبهم تلك النعم التى أسداها لهم من جنات وعيون وزروع وما ظلمهم الله فى ذلك بل كانوا هم الظالمين.

١٤ ـ طريقك إلى جنات عدن

* الله تعالى يحب لعباده الخير، فحفظ علينا نفوسنا ليوجهنا

التوقيت	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
الإسكندرية	٤ ٥٨	٦ ٢٩	١١ ٤٥	٢ ٤١	٥ ٠١	٦ ٢٣
أسوان	٤ ٥١	٦ ٢١	١١ ٤٠	٢ ٣٧	٤ ٥٨	٦ ١٩

إلى طريق الصلاح يقول تعالى: ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾ أى حفيظ عليم رقيب على كل نفس، لا يخفى عليه خافية، يقول تعالى: ﴿ ربكم أعلم بما فى نفوسكم، إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفوراً ﴾ الإسراء / ١٢٥ . وقد دلنا الله تعالى على طريق النفوس للحصول على جنات عدن بهذه الوسائل:

أولاً: أوصانا الله بالقرآن وتدبره والعمل به والتذكرة الدائمة به، لئلا تفتضح نفس أو تهلك أو تحبس عن الخير أو يحال بينها وبين العبودية، يقول تعالى: ﴿ وذكر به - أى القرآن - أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله من ولى ولا شفيع ﴾ الأنعام/ ٧٠ .

ثانياً: وأوصانا الله تعالى بالبصيرة بمعرفة عيوب أنفسنا وعلاجها وكلها تعود على صاحبها بالفوائد والنفع يقول تعالى:

﴿ قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه، ومن عمى فعليها، وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ الأنعام/ ١٠٤ .

ثالثاً: وأوصانا الله بطريق الدعوة، وهداية المجتمع، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ففيما رواه أحمد أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس انكم تقرءون هذه الآية: ﴿ يآ أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ المائدة/ ١٠٥، وإنكم تضعونها على غير موضعها وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه يوشك الله عز وجل أن يعمهم بعقابه.

[illegible]	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
[illegible]	٤ ٥٨	٦ ٢٩	١١ ٤٥	٢ ٤٠	٥ ٠١	٦ ٢٢
[illegible]	٤ ٥٢	٦ ٢٢	١١ ٤٠	٢ ٣٧	٤ ٥٨	٦ ١٨

وروى عبد بن المبارك أن أبا ثعلبة الخشنى حينما سئل عن هذه الآية قال : أما والله لقد سألت عنها خبيراً سألت عنها رسول الله ﷺ ، فقال : «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً ، وهوى متبعاً ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ، ودع العوام فإن من ورائكم أياماً الصابر منهن مثل القابض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين يعملون كعملكم » قال الترمذى حديث حسن صحيح .

وهل يرجع أهل الباطل إلى أنفسهم ؟ فى القرآن الكريم بين الله تعالى أنهم يرجعون إلى أنفسهم ويراجعون مواقفهم ليس للوصول إلى الحق ، وإنما ثباتاً واستمراراً على باطلهم ، يقول تعالى عن قوم إبراهيم حين قال لهم ما قال : ﴿ فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ﴾ الأنبياء/ ٦٤ ، أى عادوا بالملامة على أنفسهم فى عدم حراستهم لآلهتهم وتركها مهملة بلا حماية .

بل إنهم يوم القيامة يعترفون على أنفسهم ويقرون بعنادهم وكفرهم ومعاداتهم للاسلام ، يقول تعالى : ﴿ وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾ الأعراف/ ٣٨ . وذلك جزاء إغلاقهم لعقولهم وقلوبهم وأفئدتهم فأغلق الله النوافذ والأبواب ، وكان الأولى بهم أن يراجعوا أنفسهم للعودة إلى الله ، وأن يعترفوا بظلمهم فى الدنيا من أجل الأوبة إلى ربهم ، فالكلمات التى تلقاها آدم من ربه ، فتاب الله عليه ، هى فى قوله تعالى على لسان

	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
[illegible]	٤ ٥٩	٦ ٣٠	١١ ٤٥	٢ ٤٠	٥ ٠٠	٦ ٢٢
[illegible]	٤ ٥٣	٦ ٢٣	١١ ٤٠	٢ ٣٧	٤ ٥٧	٦ ١٨

أبينا آدم عليه السلام: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ الأعراف/ ٢١٣.
فنفع العمل الصالح يعود على فاعله مصداقاً لقوله تعالى:
﴿ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير﴾ فاطر/ ١٨، وذلك في يوم الجزاء، حيث ينال العاملون جزاءهم، يقول تعالى:
﴿فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ يس/ ٥٤. فهنيئا هنيئا لمن فاز! ويا لها من بشرى! يطلعنا الله عليها! لمن اجتهد وجاهد وكابد وانتصر على حركات نفسه، فأخفى عمله، وجعله سرا بينه وبين ربه، فأخفى الله له من الثواب جزاء وفاقاً نعيماً مقيماً ولذلت لا يطلع على مثلها أحد، يقول تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ السجدة/ ١٧.
يقول الحسن البصرى: أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم مالم تر عين ولم يخطر على قلب بشر، وروى البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال الله تعالى: " أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم
. وقيل فى تفسير: ﴿قرة أعين﴾ فيما رواه ابن أبى حاتم عن عامر بن عبد الواحد قال: بلغنى أن الرجل من أهل الجنة يمكث فى مكانه سبعين سنة ثم يلتفت فإذا هو بامرأة أحسن مما كان فيه فتقول له: قد أنى لك أن يكون لنا منك نصيب فيقول من أنتِ؟ فتقول أنا من المزيد، فيمكث معها سبعين سنة ثم

[illegible]	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
[illegible]	٥ [illegible]	٦ ٣١	١١ ٤٦	٢ ٤٠	٥ [illegible]	٦ ٢٢
[illegible]	٤ ٥٢	٦ ٢٤	١١ ٤	٢ ٣٧	٤ ٥٧	٦ ١٨

يلتفت فإذا هو بامرأة أحسن مما كان فيه فتقول له : قد أنى لك أن يكون لنا منك نصيب ، فيقول : من أنت ؟ فتقول : أنا التى قال الله : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾

١٣ ــ أمل النفوس

* وبعد هذه الرحلة فى داخل النفوس ، والتى صحبتنا فيها ضياءات الإسلام التى أنارت لنا الدرب ، وكشفت لنا عن خبايا الطريق ، لم يبق لمن اصطفاه الله من عباده إلا الجنة يرغد فى نعيمها الدائم ، يقول تعالى :﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفيناه من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير ﴾ فاطر / ٣٢ ، يقول ابن عباس : ﴿ من عبادنا ﴾ هم أمة محمد ﷺ فظالمهم : يغفر له ، ومقتصدهم : يحاسب حساباً يسيراً ، وسابقهم : يدخل الجنة بغير حساب ثم قال تعالى أن مأوى هؤلاء المصطفون من عباده جنات عدن فى قوله تعالى : ﴿ جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا : الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ، إن ربنا لغفور شكور ، الذى أحلنا دار المقامة من فضله ، لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ﴾ .

* ولم يبق أمام النفوس إلا الإنابة والتوبة ، فما أعظمها من دعوة من الله إلى المذنبين بالأوبة ، فى قوله تعالى :﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ﴾ الزمر / ٥٣ ، ففيما رواه

التوقيت	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
الإسكندرية	٥ ٠٠	٦ ٢٢	١١ ٤٦	٢ ٤٠	٤ ٥٩	٦ ٢١
[illegible]	٤ ٥٤	٦ ٢٥	١١ ٤١	٢ ٣٦	٤ ٥٦	٦ ١٧

الامام أحمد أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ وقال : يا رسول الله إن لى غدرات وفجرات فهل يغفر لى؟ قال ﷺ : ألست تشهد أن لا إلا إله إلا الله ، قال : بلى وأشهد أنك رسول الله ، فقال ﷺ : قد غفر لك غدراتك وفجراتك .

وذلك مصداقاً أيضاً لقوله تعالى : ﴿ ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً ﴾ يقول ابن مسعود : إن أكثر آية فى القرآن فرحا : ﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ فهنيئا لأمة محمد بأبواب الأمل وإن ولغت النفوس بالذنوب ! !

* أنشد ابن أبى الدنيا فى كتابه التفكر والاعتبار عن شيخه أبى جعفر القرشى حيث قال :

وإذا نظرت تريد معتبراً   فانظر إليك ففيك معتبر

يقول تعالى للمتأمل المتفكر : ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ الشورى / ٥٣ .

فيا أيها العقلاء المتبصرون ، بشراكم مع ربكم ، الذى يقول : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ وقد ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال : « إن الله تعالى تجاوز لأمتى ما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل » .

وأخيراً

إن هذا الأمل الكبير الذى ينتظر النفوس الصالحة ، كأنه يهمس فى نفوسنا :

[illegible]	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
[illegible]	٥ ٠١	٦ ٣٣	١١ ٤٦	٢ ٣٩	٤ ٥٩	٦ ٢١
[illegible]	٤ ٥٥	٦ ٢٥	١١ ٤١	٢ ٣٦	٤ ٥٦	٦ ١٧

لا تحقرن من الذنوب صغيرا إن الصغير غداً يعود كبيراً
إن الصغير ولو تقادم عهده عند الإله مسطراً تسطيراً
فازجر هواك عن البطالة لا تكن صعب القياد وشمرن تشميراً
إن المحب إذا أحب إلهه طار الفؤاد وألهم التفكيرا

وهذه همسة أخيرة من صاحب النفس الصالحة المطمئنة أبو بكر الصديق وهو يقول في خطبته:

من استطاع أن يقضى الأجل وهو فى عمل الله عز وجل فليفعل، ولن تنالوا ذلك إلا بالله عز وجل، وإن قوماً جعلوا آجالهم لغيرهم فنهاكم الله عز وجل أن تكونوا أمثالهم، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾ الحشر / ١٣، وندعو بدعاء النبى ﷺ: «اللهم إنى أسألك نفساً بك مطمئنة تؤمن بلقائك وترضى بقضائك وتقنع بطاعتك».

وفى تفسير قوله تعالى: ﴿وإذا النفوس زوجت﴾ قيل: يأتى* الرجل مع شيعته، الرجل الصالح مع الرجل الصالح وكذلك يقرن الرجل السوء مع الرجل السوء، وأجمعوا على أنهم الأمثال من الناس، وخطب عمر بن الخطاب فأوضح معنى زواج النفوس بقوله: تزوجها أن تؤلف كل شيعة إلى شيعتهم حتى بلغ قوله تعالى: ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ قال عمر: «لهذا أجرى الحديث» بمعنى كل ما قيل على النفوس وتربيتها فعلى كل نفس منا أن تعلم ما عملت وأن ما عملت سيكون حاضراً ومحضراً، ولذلك هذه الرسالة «تربية النفوس».

[illegible]	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
[illegible]	٢ ٥	٣٤ ٦	٤٦ ١١	٣٩ ٢	٥٩ ٤	٢١ ٦
[illegible]	٥٥ ٤	٢٦ ٦	٤١ ١١	٣٦ ٢	٥٦ ٤	١٧ ٦